国家民族文字出版专项资金项目
China Classics International

جبل القمر الساكن وقصص أخرى

静静的月亮山

تأليف: ما جه يار

ترجمة: د. حساتين فهمي

هبة سمير محمد

黄河出版传媒集团
宁夏人民教育出版社

国家民族文字出版专项资金项目

جبل القمر الساكن

وقصص أخرى

静静的月亮山

تأليف: ما جه ياو

ترجمة: د. حسانين فهمي

هبة سمير محمد

黄河出版传媒集团
宁夏人民教育出版社

此为试读，需要完整PDF请访问：www.ertongbook.com

图书在版编目（CIP）数据

静静的月亮山：阿拉伯文 / 马知遥著；哈塞宁，何巴译，-- 银川：宁夏人民教育出版社，2015.12
ISBN 978-7-5544-1397-5

Ⅰ.①静… Ⅱ.①马… ②哈… ③何…Ⅲ.①中篇小说—小说集—中国—当代—阿拉伯语②短篇小说—小说集—中国—当代—阿拉伯语 Ⅳ.①I247.5

中国版本图书馆CIP数据核字（2015）第297343号

静静的月亮山（阿文版） **马知遥 著　哈塞宁 何巴 译**

责任编辑　唐　晴　吴　阳
封面设计　水　木
责任印制　殷　戈

黄河出版传媒集团
宁夏人民教育出版社　出版发行

地　　址　宁夏银川市北京东路139号出版大厦（750001）
网　　址　www.yrpubm.com
网上书店　www.hh-book.com
电子信箱　jiaoyushe@yrpubm.com
邮购电话　0951-5014284
经　　销　全国新华书店
印刷装订　宁夏雅昌彩色印务有限公司
印刷委托书号　（宁）0017749

开　　本　720 mm × 980 mm　1/32
印　　张　8
字　　数　110千字
印　　数　5200册
版　　次　2015年12月第1版
印　　次　2015年12月第1次印刷
书　　号　ISBN 978-7- 5544-1397-5/I•80

定　　价　44.00元

版权所有　翻印必究

المحتويات

عيد الأضحى ترجمة: هبة سمير 001

على ضفاف النهر الأصفر ترجمة: د. حسانين فهمي 019

ذكرى الأربعين ترجمة: هبة سمير 049

باي شان توه ترجمة: هبة سمير 073

رحلة إلى الجذور ترجمة: هبة سمير 095

عيد الفطر ترجمة: د. حسانين فهمي 109

جبل القمر الساكن ترجمة: د. حسانين فهمي 147

عيد الأضحى

قصدت منطقة ديشوي باو؛ لالتقاط بعض الصور لأبناء قومية هوي أثناء احتفالاتهم بعيد الأضحى، في مهمة أوكلها إليَّ رؤسائي في الجريدة؛ بصفتي صحفيًّا، ولأنني مسلمٌ من أبناء قومية هوي، لم أستطع التنصل من تلك المهمة. وفي حقيقة الأمر، نشأت في مجتمع جديد ومختلف، لم تعد لي علاقة بأبناء قومية هوي، بخلاف كونهم لا يأكلون لحم الخنزير .. لا أفقه أي شيء آخر عن عاداتهم وتقاليدهم. حتى أنني لا أكاد أعلم شيئًا عن تعاليم الإسلام؛ أوامره ونواهيه، فانطلقتُ مضطرًّا إلى مهمتي.

كان السائق شابًّا، يتراوح عمره بين الخامسة والسادسة والعشرين، كثير المزاح، حَسَنُ الدعابة، سبق وأن جمعتني به مهمات عمل خرجنا فيها سويًّا، فنشأت بيننا علاقة طيبة.

على الطريق العام سارت السيارة بسلاسة، وكأنها تسير على بساطٍ طويل، زاد السائق من سرعة السيارة حتى خرج الدخان عن محركها؛ وذلك لنتجاوز الطريق الصاعد. وبتركيز قبض السائق على عجلة القيادة، وشغله ذلك عن الحديث معي.

اقتربت الساعة من الثامنة صباحًا، ولا زالت الشمس تحاول أن تشرق، وكأنها مثلنا تهابُ ذلك البرد القارس، ذلك البرد الذي صفعت لسعته وجوهنا فاحمرت من شدة البرد. هبت رياحٌ عاتية، أسمع صوتها وهي تمر فوق سقف السيارة محدثةً ضجة .. صار الجو رماديًّا، فلا وجود لبشر أو حيوانات، ولا حتى طائر يطير بجناحين .. ألقى البرد القارس بظلاله على الأرجاء، واستسلمت أنا لغفوة قصيرة.

وفجأة، ارتمى جسدي للأمام حتى ارتطمت رأسي بزجاج السيارة الأمامي وكدت أكسره، استيقظتُ على صوت السائق الذي خرج موبخًا: "أراغبان أنتما عن الحياة؟ لقد ضغطت على بوق السيارة، فهل من مجيب؟ إذا أردتما الموت فلتبحثا عن مكان أفضل، وحتى إن مللتما الحياة واكتفيتما منها، فليس من المسموح لكما أن تكونا سببًا في إيذاء الآخرين بهذه الطريقة .."..

كانت السيارة قد توقفت على منزل النفق الجبلي، حيث كان يرقد هناك ـ وعلى بعد حوالي ثلاثة أمتار ـ شخصان افترشا أرض النفق! ومهما سَبَبْتَ أو وبخت فلا حياةً لمن تنادي، ليس هناك من رد لا بكلمة ولا حتى بحركة أو إيماءة.

لم يكن أمامنا بُدٌّ من النزول عن السيارة .. تَرَجَّلْنَا متوجهين صَوبَهُما، فرأيت على اليسار شابًّا يناهز الثلاثين من العمر، ملقى على الأرض يتأوه، وعلى يمينه يستلقى شيخٌ عجوز يبدو عليه أنه من أبناء قومية هوي، عمره يتجاوز الخمسين عامًا، بدا عليه الخجل، لم يتحرك في الرجل غير حدقتي عينيه الخضراوين، فاشتاط السائق غضبًا من جديد، وانفجر في العجوز، قال والرذاذ يتطاير من فمه: "بالله عليك يا رجل، أأنت حيٌّ أم ميت، لماذا لا ترد عليَّ، هل أنت أبكم؟" لم ينطق العجوز ببنت شفة، فقط كشف لنا وجهه الممتلئ بالتجاعيد عن ابتسامة صغيرة. لم يتمالك السائق نفسه، قال وكأنه قاصدًا نفسه أو قاصدًا العجوز: "نعم، من الواضح أنني صادفت عفريتًا!".

اعتدل العجوز ليستقر جالسًا، ثم مسح التراب عن وجهه، فبرز أنفه الأحمر، ثم عيناه، ثم بدأت شفتاه تتحركان، وأخيرًا قال معتذرًا: "إنه مريض، حرارته مرتفعة، لا يقوى حتى على السير .. واليوم عيد الأضحى، فهلا تسديان له معروفًا، وتنقلاه إلى مشفى ديشوي باو لوجه الله تعالى؟!".

"إذا أردت أن توقف سيارة لتُقِلَّه إلى المشفى فلا بأس، ولكن هذا لا يبرر ما

فعلتماه، ما فعلتماه كان جد خطير، لقد أوشكت أن أفقد السيطرة على عجلة القيادة، لو حدث ذلك لكنتما الآن في عداد الموتى .. فلتنظر!"، وأشار السائق إلى الإطارين الأماميين.

ابتسم الشيخ، دس يده في جيبه ليبحث عن شيء ما .. ظننت أنه سيظهر لنا بطاقة هويته مثلا أو شيئًا من هذا القبيل، ولكنه وبعد بحث طويل أخرج مشطًا، وأخذ يمشط لحيته، وقال: "ما باليد حيلة أخي الفاضل، مرت الكثير من السيارات، ولم تقف لنا واحدة، لقد حملته على ظهري مسافة طويلة حتى وصلنا إلى هنا، وأدركت أنه ما دام الله عز وجل قدر لنا الوصول إلى هنا، إذًا فلن يُضَيعنا .. الرب واحد، والعمر واحد، ولن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا".

تبادلنا النظرات أنا والسائق، ولم ندر بما نرد، أو كيف نتصرف.

"مما يشكو؟" سألته.

"أخبرني أن الألم يعتصر بطنه، لدرجة أنه يتلوى على الأرض من شدة الألم" .. قال العجوز متعاطفًا ومتأثرًا .. وبدأ المريض يتأوه ثم تقيأ .. فقطب السائق حاجبيه متأففًا، بينما توجه العجوز صوب المريض لمساعدته، ثم أخرج من جيبه منديلًا من قماش غير ناصع البياض، ومسح به فم المريض، الذي أخرج سائلًا أصفر من جوفه، سرعان ما اختفى بين حبات الرمال، مخلفًا بقعًا على الأرض. قلت للسائق: "لنأخذه إلى المستشفى، ربما كان مصابًا بالتهاب الزائدة الدودية!".

ارتدى السائق قفازيه .. أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال: "فلتركبا معنا!"، وبعد أن ركبنا في السيارة، نحى العجوز "صُرَّتُه" جانبًا، ثم أسند رأس المريض إلى فخذه، وبيده جعل يمسح على وجه المريض.

"ما علاقتك به؟" .. سألته.

"أنا لا أعرفه" .. رد العجوز بلا تردد: "أخبرني أنه قادمٌ من قانسو لشراء البهائم".

التفت السائق للخلف متفاجئًا، وبنظرة يملؤها الاحترام والتقدير، حدق في عيني العجوز ذي الأنف الأحمر، الذي بدا لي - أنا الآخر - رجلًا لطيفًا ودودًا حانيًا.

كانت الساعة قد دقت العاشرة حين وصلنا مشارف ديشوي باو، وما أن دخلنا القريةَ حتى داعبت أنوفنا رائحة ذكية للحم غنم مسلوق، كانت الرائحة شهية بما يكفي لتسيل لعابنا. حتى أنني لم أتمالك نفسي، وابتلعت ريقي، ويبدو أن ذلك قد أصدر صوتًا مسموعًا، ما إن وصل إلى مسامع السائق حتى ابتسم. عندها فقط بدأت أتذكر، نعم تذكرت كلمات أبي: "عيد القرابين عند المسلمين هو عيد الأضحى، وفيه تذبح الأضاحي .. هو كرأس السنة عند أهل قومية هوي، يذبح فيه الغني المقتدر الأغنام أو الأبقار، يتصدق بلحومها على الفقراء والمساكين، وهذا ما يعرف بالأضحية ..". .. وقتها شعرت أنني تلميذٌ يُلَقَّن .. لم تكن لدى أدنى رغبة في التعرف على تلك الأفكار، لكن أبي لم يكن يبالي برغبتي في المعرفة، جُلُّ همه كان أن يلقنني ويردد على مسامعي ما أرادني أن أعرفه.

أظهرت إلى سكرتير الكومونة بالقرية بطاقة إثبات الهوية الصحفية الخاصة بي، وكذلك خطاب التعريف من إدارة المقاطعة، موضحًا له الغرض من زيارتي للقرية .. تعجب من أمري، وأخبرني أنه من المعروف عن أهل قومية هوي أنهم لا يرحبون بالتصوير الفوتوغرافي، واعتقد أن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

"حسنًا، سأخبرك بما ستفعله، أولًا ستذهبا لتنزلا بالفندق". قال السكرتير: " وبعد ذلك سأُرَتب لك مقابلة مع أحد الأئمة، والذي هو بالمناسبة قد أدى فريضة الحج، وينادونه بالحاج".

يبدو أنني كنت محقًّا فيما راودني من مخاوف تجاه هذه الرحلة، وعلى كل

حال سأنفذ برنامج رحلتي كما أعده السكرتير بالحرف الواحد. وبينما انشغل السائق بغسيل السيارة، دخلت أنا إلى الفندق؛ لأنهي إجراءات حجز الغرفة.

وفي الفندق، كان هناك شاب متوسط القد، يرتدي زي العمل الرسمي الرمادي اللون، واقفًا أمام مرآة محاطةً بالورود، منهمكًا في تصفيف شعره، أقبلت عليه قائلًا ولأكثر من مرة: من فضلك! وكأنه لم يسمعني، فلم يعيرني أي اهتمام، يتمايل بخيلاء، يلف رأسه تارة تجاه اليمين وتارة تجاه اليسار وهو ينظر إلى نفسه في المرآة مزهوًّا، يمسح بيده على شعر رأسه لترتيبه، ولكن شعره وكأنه يعانده ويأبى أن يكون مرتبًا رغم كل محاولاته، فتَفَلَ على يده ثم مسح بها على شعره، وببطءٍ استدار قليلًا تجاهي، ونظر إليَّ نظرةً فاحصةً من أعلى إلى أسفل، وببرود سألني: "ماذا تريد؟"

"أريد أن أحجز غرفة" .. أجبته.

"لا توجد غرف شاغرة" .. جملةٌ كُتِبَت على سبورة صغيرة أشار إليها العامل بسبابته.

"وما العمل؟"

"وما أدراني؟" قالها وهو يترك المشط أخيرًا من يده ليضعه على الطاولة.

"ولكن سكرتير الكومونة شخصيًّا هو الذي طلب مني المجيء إلى هنا" .. قلت وأنا لا أرى لي من مخرجٍ وما أدري لي من سبيل.

"لا يهمني أحد، والله لو كان إمبراطورًا وجاء بنفسه إلى هنا لما غير ذلك من الأمر من شيء".

جلس على كرسيه مرتاح البال والجسد، واضعًا ساقًا فوق ساق، معجبًا بنفسه .. لم أعد أستطيع أن أحتمله أكثر من ذلك، فطأطأت رأسي وخرجت.

عرف السائق أنني لم أُوَفَق في حجز الغرفة، ربت على كتفي قائلًا: "

此为试读,需要完整PDF请访问: www.ertongbook.com

فلتنظر إليَّ وترى ما الذي سأفعله" .. لبس قفازيه، ونظارته الشمسية، ثم انحنى أمامي للتحيةً وكأنه ممثل مسرحي ينحني تحيةً للجمهورِ قائلًا: "تفضل سيادتك، فلتركب السيارة!" كنت مشوشًا متخبط الفكر، لا أدري ما الذي يتوجب عليَّ فعله، فاستمعت لكلامه ونفذت خطته.

كانت سيارتنا طراز جيب جديدة، أضف إلى ذلك أنه كان قد غسلها للتو. كان بريقها يضوي تحت أشعة الشمس. وبمجرد أن توقفت السيارة أمام الفندق، هممت بالنزول عنها، ولكن السائق طلب مني أن أظل بمكاني ولا أتحرك. وضع السيجارة بفمه، ثم أشعلها، وكأنه من عليةِ القوم. ضغط على بوق السيارة بشكل مستمر ودون انقطاع.

يبدو أن حيلته قد أتت بثمارها، خرج الشاب من الفندق، فأشار السائق إليه ليدنو منا .. أتى مهرولًا .. رمى السائق بطفو سيجارته في زهوٍ وخيلاء قائلًا:

"احجز لنا أفضل غرفة في هذا الفندق".

"أتريد غرفةً فاخرة؟"

"آه .. نعم" .. رد السائق بلا مبالاة.

انتظرنا حتى يفتح الشاب الغرفة، ومن خلفه نغزني السائق نغزة قوية، وبمكرٍ نظر إليَّ مبتسمًا.

"هذه أفضل غرفة بالفندق، لا يدخلها إلا علية القوم".

دخلنا الغرفة، وبينما كان الشاب يصب لنا الشاي، قال لنا: "قبيل أمس نزل رئيس المنطقة بفندقنا، وأقام بهذه الغرفة، غرفة فاخرة ما ترى فيها من عيب ولا نقص. بل ويمكنك أيضًا أن تدخن هنا، وكنت قد أشعلت لسيادته ثلاثة سجائر، وأعطاني واحدة".

وبعد لحظات، دخل علينا الشاب ثانيةً وقد أحضر معه طبقًا به ماء لتنظيف

الوجه وغسله. قال لي بجدية: "المنطقة هنا منطقة جبلية، وتكثر بها العواصف الرملية، هذا لتمسحوا به على وجوهكم!" تخوف الشاب أن يكون قد أغضب السائق، فقال: "حسنًا، إذا ما انتهيتم من غسل وجوهكما، فسأمر عليكما لأخذ الطبق " .. لم أهتم لأمره، أما السائق فلم يكن ليهتم بأي شيء سوى أن يستمتع بغسل وجه.

"هل تعرفان ماون فو؟" .. فاجأنا العامل بالسؤال.

"..". في حيرة تبادلت أنا والسائق النظرات.

"إنه عمي، أحد أهم المسئولين هنا، أفضاله على الجميع بمن فيهم أكبر مسئول بالمنطقة".

انشغلت بتهيئة وترتيب مُعِدَّاتي .. أفحص الكاميرا، وأضع الفيلم بداخلها.

"إن عمي يمتلك كاميرا أيضًا، تصويرها جيد جدًّا" .. ثم أخرج لنا من محفظته صورة فوتوغرافية لفتاة ذات ملامح مقبولة.

"فلتنظر ما رأيك؟، جميلة أليس كذلك؟" .. سألني الشاب.

"دعني ألقِ نظرة!" .. خطفها السائق من بين يديَّ، ثم أمعن فيها النظر، يقربها إلى ناظريه تارة، ويبعدها تارة أخرى، وهو لا يتوقف عن الثناء عليها: " جميلة .. الفتاة جميلة والصورة جيدة أيضًا .. ومن تكون هذه الفتاة؟"

"زوجتي" .. أجاب الشاب بكل فخر.

"يا له من شابٍ محظوظ! ومن أين لك بمثل هذه الزوجة الجميلة البدينة؟" ..

اقترب الشاب من السائق، وأشار إلى الحذاء الجلد في الصورة قائلًا: "هذا الحذاء ماركة أصلية من بكين، كان قد أهداها إياه عمي الشهر الماضي بمناسبة زواجنا!".

"حسنًا، فلتدعُ زوجتك؛ لنأخذ لكما صورة وننشرها لكما في الجريدة".

"هذا مستحيل الآن .. خلاف وشجار دار بين أمي وزوجتي، على إصره غادرت زوجتي البيت، وعادت إلى بيت أبيها".

-"وما سبب ذلك الشجار؟"

-"رغبنا في أن نتقاسم البيت، الذي لم يترك لنا أبي غيره. وأمي لا تتوقف عن البكاء والسب واللعن؛ رافضة هذا الرأي، ولكن لا مفر من تقسيم البيت. أنفقت ما يزيد عن التسعمائة يوان صيني على زواجي، وكان ذلك المبلغ ما استطاع أبي أن يدخره فيما يزيد على العشر سنوات، ولا يزال لدي أخوان صغيران، فلماذا نتركهما يعانيان من الفقر؟ جلست أمي على المصطبة غاضبة، طلبت من زوجتي أن تذهب إلى بيت أبيها، وهنا بدأت أمي من جديد: " بالطبع زوجتك أهم عندك من أمك وأبيك ..". فرحلت أنا أيضًا عن البيت.

"خيرًا فعلت، أيها الشابّ" .. قالها السائق، ثم أعاد له الصورة وهو يربت على كتفه.

"ها ها ها ..". .. ضحك السائق.

"ها ها ها ... وضحك الشاب.

يا له من مزعج!:

أخذنا قسطًا من الراحة وبعدها خرجنا من الفندق قاصدين سكرتير الكومونة. لم أنجح في تصوير الحدث حتى الآن، فضلًا عن لقائنا بذلك العامل المزعج، كنت أحترق غيظًا. لم نجد السكرتير في مكتبه، كان قد ذهب إلى المسجد؛ ليرتب لنا لقاء مع الحاج دينغ، فلحقنا به إلى هناك.

كان المسجد يعج بالمصلين، كلما رآنا أحدهم رمقنا بنظرة تملؤها الدهشة والتساؤل، إلا ذلك الرجل الواقف هناك بجوار البئر، انتظر حتى اقتربنا منه، فأدلى دلوه وملأه بالماء، ثم سحبه وقربه إليَّ، ومسح بحنان على يدي. "يا إلهي! أليس هو ذلك الشيخ ذو الأنف الأحمر!" .. وكأننا أحبة التقينا بعد فراق، وكم شعرت بالدفء والود والحنين، وقد احتواني في تلك اللحظة تحديدًا.

"ما اسمك؟ .. لا أدري لماذا كلما نظرت إليك شعرت وكأنك واحدٌ منا، من أهل قومية هوي" .. أمال الشيخ العجوز رأسه وحدق إليَّ بعينيه الخضراوين مبتسمًا ابتسامة واثقة.

"اسمي ما، وأنا من قومية هوي".

صاح الشيخ كالأطفال فَرِحًا، وبحنان أمسك بيدي قائلًا:

"إذًا فنحن أهل وإخوة!" .. أخبرته بسبب مجيئي إلى هنا، فاصطحبني بود لمقابلة الحاج دينغ.

حين اقتربنا منه كان الحاج دينغ والسكرتير يتحدثان سويًّا، وما إن وقع نظر الحاج دينغ عليَّ حتى بدا عليه التوتر. مددت يدي إليه مصافحًا، فأبى أن يمد إليَّ يده، ولم يحرك ساكنًا، فشعرت بإحراج شديد.

الحاج دينغ شيخٌ فوق السبعين، ذو لحيةٍ بيضاء جميلة، يبدو عليه الوقار والهيبة، يمسك بمسبحة، ولا تتوقف يداه عن تحريكها وهو يتمتم .. أكمل السكرتير حديثه مع الحاج دينغ شارحًا وموضحًا، ولكن الحاج أجابه بفتور:

"ليس لدينا ما يمكن تصويره، كما أننا أهل قومية هوي لا نرحب بالتصوير الفوتوغرافي".

أدار الحاج جسده ليتركنا ويذهب، لكن الشيخ ذا الأنف الأحمر استوقفه قائلًا: "لكنه من أبناء قومية هوي!" .. توقف الحاج، واستدار تجاهي، وسألني متعجبًا: "هل أنت مسلم؟" لم أنطق ببنت شفة، فقط أومأت برأسي بالإيجاب. أحكم قبضته على كتفيّ، ورجَّ جسدي للأمام والخلف حتى كدت أفقد توازني.

وبمنتهى الود والمحبة دعاني الحاج دينغ لأدخل غرفته، أما السكرتير فأستأذن ثم تركنا وذهب، وكذلك الشيخ ذو الأنف الأحمر ذهب ليحضر لنا الماء. كانت الغرفة تعج بالبشر، وكما جرت العادة في أعياد قومية هوي،

أحضروا لنا البخور والشاي مع السكر، المعجنات، التمور، التفاح المجفف، الخوخ .. قدموا إليَّ الكثير مما لذ وطاب، وكلما أعطاني أحدهم شيئًا قال لي " نحن المسلمون ..". .. تبينت أنهم قد مزجوا حبهم وانتماءهم لدينهم بحبهم وانتمائهم لقوميتهم، كشخصٍ أحب أبويه حبًّا جمًّا، وكذلك أحب وطنه، وسألوني: "هل تغيرت سياسات الدولة أم لم يطرأ عليها أي تغيير؟" .. "وما فائدة التصوير الفوتوغرافي؟" .. وأجبتهم على جميع أسئلتهم.

سأل الحاج باهتمام: "وما الذي تنوي تصويره؟" .. لم أتمالك نفسي أمام ذلك التناقض الواضح، وكيف تَحَوَّلَ الحاج وغيَّر تعامله معي، بل إنه غيَّر حتى موقفه تجاه فكرة التصوير، فضحكت قائلًا: "ألم تقل منذ قليل إن المسلمين متحفظون تجاه ما يسمى بالتصوير الفوتغرافي؟!" .. وبابتسامةٍ ماكرةٍ أجابني: " لا يرفض المؤمنون التصوير بشكل عام، إنما فقط يمتنعون عن تمجيد وتقديس الصور .. ولن أخفي عنك، لقد ازددنا مؤخرًا تخوفًا وحذرًا تجاه أي غريب. أتعلم عندما تُوُفِيت والدة ماون تشينغ، ودعاني لحضور الجنازة للصلاة عليها وقرءاة القرآن، من أجل ذلك أخذوني، أوسعوني ضربًا، لقد ارتمى ماون تشينغ أرضًا متوسلًا إليهم: "لتأخذوني أنا .. لتضربوني أنا، أنا الذي طلبت منه ذلك، اتركوه، أخي الحبيب ..".، ولكن لم يستجب له أحد، قالوا إنه - تحت تأثير الصدمة - ملتاعٌ لفقد والدته، وأنه مخدوعٌ فيَّ، ولا شأن له بالأمر .. لكنه ظل يبكي متوسلًا حتى وصلنا إلى مقر الفرقة العسكرية، وهناك طلبوا مني أن أقرأ عليهم ما كنت أتلوه في الجنازة، يا الله، أبعدما أرهبوني حتى الموت، لقد كدت أموت خوفًا، فيكف يتسنى لي أن أقرأ. بعضهم طلب مني أن أخر راكعًا بين يديهم، معترفًا بذنبي، طالبًا السماح[1]، فأخبرتهم أن ديننا ينهانا عن الركوع أو السجود لغير الله، فانهالوا عليَّ بالسباب كالمجانين، وقالوا عني: "معادٍ للثورة ..

".. وبحبل أوثقوني، ثم علَّقوني في أحد الأعمدة. وفي البداية شعرتُ بجسدي ثقيلًا، وأخذتُ أدعو ربي، حتى خف حملي وهان". تنهد الحاج ثم تابع يقول: " في تلك الليلة حملني ماون تشينغ حتى أوصلني إلى البيت، ساعدني لأغتسل، وظل معي حتى أشرقت الشمس. وبعد مرور ثلاثة أيام عاد إليَّ حاملًا جِوالًا كاملًا من البطاطا، فاعتذرت عن قبوله، فقال لي: الأمرُ يرجع إليك .. تقبله أو ترفضه، إلا أنني قد جئتُ به إليك!". في ذلك الوقت كانت حصة كل فرد في الشهر الواحد عشرة كيلو جرامات من الذرة الرفيعة الحمراء، حبة بطاطا واحدة في ذلك الوقت كانت تعد كنزًا! وفي نهاية المطاف، لم أجد بدًّا من قبول الهدية .. آه .. ماون تشينغ .. يا له من مسلم صالح!.

"ومن هو ماون تشينغ؟ أما زال على قيد الحياة؟" .. سألته.

"ذلك الشيخ العجوز الذي يساعد في سُقيا المصلين وتقديم الماء لهم، ألا تجمعك به سابق معرفة؟"

فتنبهتُ قائلًا: "آه"، ذلك العجوز ذو الأنف الأحمر هو ماون تشينغ! فصدقت على قول الحاج، مثنيًا على ماون تشينغ قائلًا: "حقًّا إنه رجل صالح".

سحبني ذلك الشيخ الذي كان يصب لي الشاي من ياقة قميصي قائلًا: "ألا تعرف، إنه حقًّا شخصٌ عجيب، عندما قُسمت الأراضي الزراعية الزراعية على الفلاحين في فترة الإصلاح الزراعي، كان هو - في ذلك الحين - فلاحً فقير، غير أنه أبى أن يقبل أي أرض زراعية أو أي شيء .. أبى إلا أن يظل كما كان.

---

1 – هناك تقليد يمتاز به الصينيون، معروفًا في ثقافتهم، متعلق بفكرة الركوع والسجود للاعتذار عن وقوع أحدهم في خطأ، فقد تعتذر شخصية عامة للجمهور بالركوع مرتين ثم السجود مرة، وقد يعتذر الابن إن أجرم في حق والديه بالركوع مرتين ثم السجود، وهكذا فإن

وسأله القائمون على تقسيم الأراضي عن سبب امتناعه عن استلام أرضه، قال: إنه يريد أن يظل ـ كما هو ـ فلاحًا فقيرًا، لكن منْ يقبله زوجًا لابنته؟ ..".. ولما رأى الحاج أن ذلك الشيخ قد أبعدنا بحديثه عن مقصدنا، أعادنا الحاج من جديد، وسألني عن موضوع التصوير.

طلبت من الحاج دينغ أن أبدأ بالتعرف أكثر على عيد الأضحى؛ تاريخه ونشأته، فأجاب قائلًا:

إنه نُسك، بدأ منذ عهد نبي الله إبراهيم، الذي كان رجلًا صالحًا سليم القلب، يحب عمل الخير، ويتصدق على الفقراء، ويدعو الناس إلى دين الله الحنيف، لكنه لم يُرزق بالأولاد حتى صار شيخًا كبيرًا، وقال الناس - ساعتها ـ إن ذلك بسبب أن عدم صدق إيمانه، وأنه يفعل كل هذه الأعمال الخيرة لأنه يمتلك الكثير من المال. فراح إبراهيم يدعو الله أن يرزقه بالولد، وأنه إذا رزقه الله به، فإنه سيقدمه قربانًا لله؛ تعبيرًا عن صدق إيمانه. فأنجبت له زوجته التي كانت قد جاوزت الخمسين، ولدًا .. أحبه والداه حبًّا جمًّا. وبعد أن بلغ الولد، نوى إبراهيم أن ينفذ وعده مع الله، وجهز سكينه واستعد لذبح ابنه، إلا أن السكين أبت ألا تذبح الولد، فأرسل له الله بقرة وكبشًا، وأمره أن يذبحهما؛ فداء لابنه إسماعيل. ثم بدأ المسلمون بعدها ذبح الأضاحي؛ تقربًا إلى الله، وتعبيرًا عن صدق إيمانهم.

كما حدثني كذلك عن مراسم عيد الأضحي، وبعد تفكير، راودتني فكرة تصوير صلاة العيد والخطبة واجتماع المصلين لتناول الأطعمة وذبح الأضاحي، وغيرها من المشاهد[1].

---

1 - تشير المترجمة هنا إلى الفهم الخاطئ للمؤلف لقصة خليل الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل وشعيرة الأضحية، وفق ما ذكره المفسرون والعلماء في تفسير وشرح هذه القصة من القصص القرآني. مما يوضح الفهم الخاطئ للمسلمين من الصينيين في فهم

此为试读,需要完整PDF请访问: www.ertongbook.com